المحاضرة الأولى: الحالة العامة في أوروبا قبل النهضة.

الأوضاع الفكرية في أوروبا قبل النهضة:

لم يكن الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة مفاجئا أو واضحا أو محددا بعدد من السنين، وإنما تم بشكل تدريجي، ويعتبر عصر النهضة مرحلة انتقال بين العصور الوسطى والعصور الحديثة. وقد اتفق معظم المؤرخين على أن عصر النهضة في أوروبا، بدأ في نهاية القرن 14م، حيث شرع الأوروبيون بعملية دراسة انتقائية للعلوم والمعارف الإغريقية والرومانية والعربية، مترافقة بحركة نشطة للاستكشافات الجغرافية، وتبع ذلك أيضا الانتقال من المنهج الفلسفي إلى المنهج العلمي التجريبي في دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية.

وأوروبا العصور الوسطى كانت تتجه إلى الزهد في الدنيا والتبتل للآخرة، وذلك نتيجة هيمنة رجال الكنيسة على مختلف شؤون الحياة، باعتبارهم علماء في الدين وفلاسفة في القانون الروماني، فحاربوا المفكرين وحاكموهم بقسوة واحتكروا زعامة المجتمع، فتفشت فيه الخرافات وعم الجهل. لهذا لم ينتفع الجمهور باللغة اللاتينية، لأنها كانت محتكرة لدى طائفة من رجال الكنيسة ولم تكن صناعة الورق أو فن الطباعة معروفين في أوروبا بعد، ولهذا كان المجتمع الأوروبي متخلفا ويئن تحت وطأة الإقطاع، ويعاني من ويلات الحروب الإقطاعية والتجزئة السياسية.

بداية النهضة من إيطاليا:

سبقت إيطاليا غيرها من دول أوروبا في النهضة التي بدأت إرهاصاتها قبل منتصف القرن 14م، في حين لم تظهر في الدول الأخرى إلا في القرون الموالية. ويمكن إجمال الأسباب فيما يلي:

1/ الهدوء والسلام النسبي الذي تمتعت به إيطاليا، خاصة في القرن 15م، ما مكنها من التفرغ للاطلاع والبحث.

2/ عرفت بعض المدن الإيطالية تقدما اقتصاديا ملموسا منذ مطلع القرن 11م (جنوة، البندقية، بيزا، فلورنسا...)

3/ خفة وطأة نظام الإقطاع في إيطاليا منه في باقي البلاد الأوروبية الغربية، وقلة الحواجز بين الطبقات الاجتماعية.

4/ حوَت إيطاليا على الكنوز الدفينة للإمبراطورية الرومانية من الآداب والعلوم والنقوش وفن التصوير والنحت والآثار، ما جعل الطليان على اتصال وثيق دائم بآداب الرومان وفنونهم وقوانينهم وعلومهم، وأرادوا أن يكونوا ورثة لأجدادهم الرومان في إحياء مجدهم، وبما أن اللغة الإيطالية قريبة من اللغة اللاتينية فإن ذلك سهل عليهم الإفادة من مخلفات الرومان أجدادهم.

5/ أكسب وجود مركز البابوية في روما شعور الطليان بالسيطرة الدينية على باقي أوروبا، كما أن ذلك أكسبهم ربحا ماليا عن طريق اشتغالهم بالوظائف الدينية، علما أن ميزانية البابوية مليئة بالأموال المتدفقة من خارج إيطاليا.

6/ التنافس بين المدن الإيطالية في المجال الأدبي والفني، مع وجود عدد كبير من رعاة الفنون والآداب. وكان وجود الآثار الأدبية والفنية القديمة في إيطاليا من العوامل التي شجعت واجتذبت الباحثين منذ أيام أبو الحركة الإنسانية الموسوعي والشاعر الفلورانسي بترارك Petrarque (1374م).

7/ ظلت النصوص الإغريقية واللاتينية في يد المثقفين الطليان، ما طوَر روح البحث والتنقيب عن المخطوطات والمؤلفات القديمة النادرة. وأصبحت إيطاليا مستودعا كاملا لهذه المخطوطات.

8/ وجود أكبر المطابع في المدن الإيطالية، فقد كان لأصحاب المطابع مجموعة كبيرة من النصوص القديمة، نشروا عددا كبيرا منها.

9/ موقع إيطاليا ساعد الطليان على أن يكونوا على اتصال وثيق بالشرق، عن طريق التبادل التجاري الذي كان قائما بين المدن الإيطالية التجارية وبلاد الشرق الإسلامي، إضافة للاتصال الذي تم عن طريق الحروب الصليبية، واتصال الطليان بالحضارة الإسلامية في الأندلس وصقلية والشرق الإسلامي.

المراجع:

كلية تطوان مسلك التاريخ والحضارة،

https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=1015556388507530&id=476871369042704.

عبد الفتاح حسن أبو علية: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ص 40 ومايليها.

خريطة شبه الجزيرة الإيطالية سنة 1494م.

المحاضرة الثانية: تعريف النهضة وعوامل قيامها.

تعريف النهضة:

يطلق مصطلح النهضة على مجموعة من الأفكار والمنجزات العلمية والأدبية والفنية التي حدثت في فترة انتقال أوروبا من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة.

لغة كلمة النهضة "La Rinascimento" باللغة الإيطالية، و "Renaissance" باللغة الفرنسية تعنى الميلاد الجديد أو البعث، فقد بدا للأوروبيين هذا النضوج على أنه بعثا للروح القديمة، بعد أن وقفت البربرية الجرمانية في طريقها حوالي ألف عام، حيث قضت غارات الجرمان على الإمبراطورية الرومانية في الغرب.

فالقوط قضوا على زهرة الفن الروماني وأحلّوا محله العمارة القوطية ذات النحت الخشن الكئيب، والذي مثّل الأنبياء صارمين والقديسين هزيلي الأجسام.

واصطلاحا هي حركة إحياء العلوم القديمة والإضافة إليها، وإذا كان المعيار اقتصادي فهي بمثابة نمو اقتصادي ومالي وتجاري، وإذا كان المعيار سياسي فالنهضة هي إقامة دول قومية حلت محل المَلَكيات الإقطاعية. وقد انبثقت في إيطاليا في القرن 14م، وانتقلت منها إلى أنحاء أوروبا في القرون التالية. انظر https://uqu.edu.sa/agmohamad/12859

ويمكن أن نُعرِف النهضة أنها حركة لإحياء التراث القديم، أو بمعنى آخر هي عبارة عن ذلك التطور في كل من الفنون والآداب والعلوم وطرق التعبير والدراسات، وما صاحب ذلك من تغيُر في أسس الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية.

أما **تاريخيا** فهي الفترة الانتقالية التي عاشتها أوروبا ما بين القرون 14م وحتى 17م، وهي عبارة عن حركة ثقافية انفجرت شرارتها في إيطاليا في نهايات العصور الوسطى، ثم بدأت بالتوسُع شيئا فشيئا إلى سائر أنحاء القارة الأوروبية. وحفّز وجود الورق والاختراعات الانتشار السريع لهذه النهضة في أواخر القرن 15م. كما يُعد عصر النهضة بمثابة نقطة تحوُل إلى الازدهار في المجالات الأدبية اللاتينية والمحلية منذ مطلع القرن 14م، باعتبارها حركة ثقافية. كما شهدت المنطقة نهضة في مجالات التعلُم القائم على المصادر الكلاسيكية. ويُعزى الفضل في قيام هذه الثورة إلى بيترارك Pétrarque (1374م). وقد رافقت هذه النهضة تطورات في مجالات الرسم المنظور والتقنيات ما جعل الرسم أكثر واقعية، كما شهد التعليم إصلاحا واسعا. أما في المجالات السياسية فقد تعددت مظاهر الدبلوماسية المتمثلة في المعاهدات بين الدول، أما فيما يتعلق بالمجالات العلمية فقد أصبحت الدول تعتمد على الملاحظة.

عوامل قيام النهضة:

1) انتعاش التجارة وازدهار المدن التجارية الأوروبية: إن انتعاش التجارة بين الغرب والشرق، وخاصة عبر البحر المتوسط، جعل المدن الأوروبية المطلة عليه تشهد رخاءً اقتصاديا ساعد على ظهور طبقة غنية استأثرت بالسلطة وتحررت من الإقطاعية، فنافستها واستقلت عنها مُعززة هذا الاستقلال بتبادل السفراء والقناصل مع الدول التي ترتبط معها بعلاقات تجارية، وكذلك بإحاطة نفسها بمظاهر البذخ والترف، مما جعلها تشجع حركة النهضة وتتنافس فيما بينها على رعاية فنانيها وأدبائها وعلمائها.

2) نمو البرجوازية والرأسمالية: مكّن موقع المدن الإيطالية الإستراتيجي التجار الطليان من أداء دور الوسيط بين شرق العالم وغربه، وتأسيس شركات حققت أموالا طائلة، وتزامن ذلك مع تطور النظام المصرفي (تأسس أول مصرف فلورانسي سنة 1397م، وكان ملكا لأسرة مديتشي)، وظهور النظام الرأسمالي.

3) **الأنظمة السياسية المطلقة:** افتك الملوك جميع السلطات السياسية من أيدي النبلاء ورجال الكنيسة وزاولوا السلطة المطلقة بأنفسهم، وتجنبا لثورات الطبقتين تحالفوا مع البرجوازية بتشجيعها والاستفادة من ثرائها، في حين كانت هي في حاجة للأمن والاستقرار، ما ضمنه الملوك.

4) ضعف الكنيسة الغربية وانقسامها: شكلت المفاسد الأخلاقية والسياسية والتبذير المالي مع الانقسام البابوي الذي حدث عندما اتخذ البابا كليمونت 5 (1314م) مدينة أفينيون الفرنسية مقرا للبابوية بين سنوات 1305م–1377م، شكلت عوامل أضرت بسمعة الكنيسة، وكان ذلك إرهاصا لبداية التغيير في الحياة الفكرية والدينية والسياسية في أوروبا.

5) أثر الحضارة الإسلامية: استفادت أوروبا حضاريا رغم انهزامها عسكريا في الحروب الصليبية، وذلك باحتكاكها بحضارة المسلمين الراقية التي غيرت نظرتها لكثير من المفاهيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وتسربت الحضارة الإسلامية لأوروبا عبر الأندلس وصقلية والمغرب الإسلامي ومصر وبلاد المشرق وبيزنطة. كما أن طلاب العلم نهلوا من الجامعات الإسلامية منذ نهاية القرن 11م.

6) المخترعات الحديثة: وأهمها صناعة الورق والطباعة، ولا يخفى أثرهما في نشر العلوم والثقافة بين الناس، وخاصة بعدما طوّر الأوروبيون صناعتهما إثر اختراع العالم الألماني يوحنا غوتنبرغ (1468م) (Ghutinberg) سنة 1450م للطباعة بالحروف المتحركة. كما استفاد الأوروبيون من البارود، خاصة في حروبهم التي خاضوها ضد قلاع الإقطاعيين الذين كانوا يُكثرون التجزئة ويقفون عائقا أمام ظهور الدولة القومية. كما كان لاستفادة الأوروبيين من البوصلة والإسطرلاب دور فعال في حركة الكشوف الجغرافية، وما إلى ذلك من الاختراعات الأخرى التي استعانت بها أوروبا لتغيير أوضاعها القديمة وبعث أوروبا حديثة.

7) استعمال اللغة الوطنية: كانت لغة رجال الدين الأم اللاتينية، فقد كانت بمثابة اللغة الرسمية للعلم والثقافة، لكن تنبه الأوروبيون إلى ضرورة استعمال اللغة الوطنية التي يتكلمها معظم الناس. وقد كان لتشجيع بعض الحكومات الأوروبية للغات القومية وإقبال بعض الكُتاب على التأليف بها أثر كبير في نشر الثقافة بين طبقات المجتمع. وهي اللغات الأم للغات شعوب أوروبا الحالية مثل اللغات الفرنسية والإنجليزية وغيرها.

8) سقوط القسطنطينية: أقدمت كوكبة من علماء القسطنطينية على اتخاذ خطوة الهجرة إلى إيطاليا بعد سقوط العاصمة البيزنطية القسطنطينية تحت الحكم العثماني، حاملين معهم رصيدا تراثيا ضخما من الحضارات الإغريقية والرومانية والإسلامية إلى جانب الثروة المالية.

المراجع:

- عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار: التاريخ الأوروبي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت.
- نور الدين حاطوم: تاريخ عصر النهضة الأوروبية، دار الفكر، بيروت.
- محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت.
- جلال يحيى: التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

http://www.study4uae.com/vb/showthread.php?t=30378

المحاضرة الثالثة: مظاهر النهضة الأوروبية.

النهضة الأدبية:

ارتكزت الآداب على تقليد القدامى في كتابة القصائد والاهتمام بجمال الأسلوب وانتقاء الألفاظ، وركزت آداب النهضة على الجانب العاطفي بدل التعليم والوعظ. وقد طال تطور الأدب بكل أشكاله ومعانيه حيث تم تطوير مفاهيم الأدب والفلسفة، وجمع المخطوطات اليونانية، كيف ذلك؟

1/ بعث التراث الوثني الإغريقي: هذه هي الخطوة الأولى نحو الانفلات من سلطة الكنيسة، والانقضاض على فكر وتقاليد القرون الوسطى. وعن طريق إحياء الآداب الإغريقية استطاع أدباء وفنانو النهضة النفاذ إلى عالم آخر خارج من مألوف عصرهم ولا أثر فيه لشيء من اللاهوتيات، لقد نفذوا أول الأمر من كوة صغيرة، لكنها ظلت تتسع حتى انتقض بناء الكنيسة والتقاليد من أساسه، وطلعوا على الفكر الأوروبي بمفاهيم جديدة ومعايير مغايرة سبقوا بها النهضة الفكرية العقلانية، وذلك ما يعده الفكر الحديث أعظم مآثر النهضة.

2/ العودة إلى الإباحية الرومانية: كان عصر النهضة يتسم بطابع كلاسيكي خاص، يقدس الجسد ويعبد اللذة في وقت لا تزال الرهبانية فيه هي المثل الأعلى. ووجه زعماء ذلك العصر أنظار الناس إلى مثالب الرهبانية بحجة منافاتها للإنسانية، وهو الوصف الذي كانوا يتسترون وراءه. يقول مؤلف "تكوين العقل الحديث" الفيلسوف الأمريكي جون راندل Randall (1980م):"الحقيقة أن هذا الاهتمام بالإنسانية عاش بصورة قوية واضحا منذ العصور التي سبقت غزوة المسيحية للبرابرة، فالحياة التي صورها الشاعر الملحمي الإغريقي هوميروس Homère (القرن 8ق.م) في الملاحم الوثنية تعكس لنا الوجود الإنساني، وجل ما استطاع التقليد المسيحي هو أن يشوِه سمعتها. وقد انتشر خلال القسم المتأخر من القرون الوسطى تيار من الأغاني المبتذلة تُمجد التمتع الصريح بالحياة وملذاتها، وكانت هذه الأغاني كثيرة التحرر مفرطة في وصف النواحي الحيوانية".

3/ ملحمة الكوميديا الإلهية: كانت حدثا جديدا في الأدب، حدثا ضخما لم يسبق له مثيل، فليس إذن من العجب أن يدعوها الناس بلقب الإلهية، لأنهم شعروا عند ظهورها أن أدبا أوروبيا جديدا قد انبثق فجره. إن الناس كانوا يعتقدون ما علمتهم الكنيسة إياه من أن كل إنسان يكفر بالمسيحية جزاؤه جهنم، وأما من يؤمن بها فمآله إلى الجنة، وجاء دانتي Dante(1321م) فخرج على تلك العقيدة القديمة، وأقام موازين جديدة للعقاب والثواب على أساس من الأخلاق، فكان شاعرا يوزع بالقسطاس العقاب والثواب بدلا من أن يوزعها البابا، وهو أمرا عظيما في ذلك الوقت. وقد أدخل دانتي في ملحمته البابوات كلهم قاع جهنم إلا بابا واحدا أدخله الجنة، ودلالة ذلك لا تخفى على أحد.

4/ شكسبير: كان شكسبير Shakespeare (1616م) خير من قام بدراسة الإنسان، والحق أنه يمثل أرقى ما بلغت إليه حركة النهضة الأوروبية بكاملها، وهي في لبابها تتلخص في اكتشاف الجنس البشري لقيمته، وأهميته التي كانت قد ضاعت على مر العصور.

5/ اللغات الوطنية: كما ظهرت الكتابة باللغات الوطنية حيث برز في فرنسا عدد من الشعراء والمفكرين كتبوا باللغة المتداولة، ووضعوا أسس وقواعد الكتابة باللغة الفرنسية، فكتب الشاعر دوبيلاي Du Bellay

(1560م) دفاعا عن اللغة الفرنسية بيَن فيه قدرتها على التعبير عن خلجات الفكر والشعور. وفي إيطاليا كتب مكيافيلي Machiavel (1527م) كتابه "الأمير" باللغة الإيطالية بيَن فيه ضرورة فصل الدين عن السياسة، وفي إسبانيا ألف سارفانتيس Cervantes(1616م) قصة "دون كيشوت" بالإسبانية. وكان للترجمة التي وضعها مارتن لوثر Luther(1546م) للإنجيل أثر كبير على تطور اللغة الألمانية، وفي إنكلترا وضع الروائي شكسبير كل مسرحياته باللغة الإنجليزية. فكان للحركة الإنسانية أثر عميق في الأدب الأوروبي، وبذلك أسهمت الكتابة باللغات الوطنية في تعزيز الشعور القومي لدى الشعوب الأوروبية.

النهضة الفنية:

إن حركة فنية ناشطة بدأت في قلب العصور الوسطى، وبصورة خاصة منذ مطلع القرن 12م محققة تطورا كبيرا في فن النحت والعمارة. وقد كان فن النهضة، على عكس فن العصور الوسطى وفن العمارة بالذات، يأخذ اتجاهات جديدة بحكم تأثير موجة إحياء التراث. كما أكدت النهضة الفنية على الإنسان من خلال النحت والرسم، إذ لم يعد الفن مجرد عملية استنساخ آلي لقوالب تفرضها الكنيسة، وإنما أصبح تعبيرا حرا عن عقلية الفنان في عصر النهضة. هكذا بدأ العمل الإبداعي بعد التحرر من القيود الكنسية. لهذا مثلت الفنون والفنون الجميلة، من رسم ونحت وموسيقى ومسرح، التي مزجت بين الفن القديم والإبداع، روح النهضة التي كانت إيطاليا مهدا لها. والفن هو الذي ساعد في ظهور عدد كبير من الرسامين والنحاتين والفنانين مثل ليوناردو دافنشي De Vinci (1519م) في الرسم، ومايكل أنجلو Angelo (1564م) في النحت، كذلك تطورت الهندسة العمرانية. لقد انعكست حركة إحياء التراث بشكل واضح في النهضة الفنية التي تجلت من خلالها معاني الفنون الجميلة، حيث أن الحركة الفنية كانت موجودة في أوروبا منذ مطلع القرن 12م، إلا أن الذي ميّز النهضة الفنية هو أن فن العمارة والنحت والرسم بالذات بدأ يأخذ اتجاهات جديدة بحكم تأثير موجة إحياء التراث، يضاف إلى هذا أن النهضة الفنية أكدت على الإنسان من خلال النحت والرسم.

1/ دور المدن: أدت المدن الإيطالية دورا هاما في تقدم الفنون لأنها كانت مراكز الحياة الفنية، وكانت روما بطبيعتها على رأس المدن الإيطالية التي احتضنت الفن والفنانين. وقد ساعد بعض الباباوات على ازدهار النهضة الفنية بروما، التي شُيدت بها في هذه الفترة مجموعة من الكنائس، مثل كنيسة القديس بطرس التي تعاقب على تزيينها وزخرفتها كبار المعماريين والرسامين والنحاتين. ولم تقتصر رعاية الفنون على روما بل انتشرت في جميع المدن الأوروبية، ويمكن اعتبار فن العمارة والنحت والرسم الأساس الذي ارتكزت عليه النهضة الفنية في أوروبا.

2/ تحرر الفن من قيود الكنيسة: يقول أحد مؤرخي الفن:"طالما كانت العصور الوسطى في الواقع عصورا دينية، وطالما أن عصر النهضة يعنى على الأقل محاولة العودة إلى الوثنية اللادينية إن لم نقل الزندقة، فإن فن العصور الوسطى يرتبط بالكنيسة، أما فن عصر النهضة فيتمتع بحرية بوهيمية، وهذه هي حقيقة الأمر". وكان النحاتون والرسامون في ذروة عصر النهضة يُقلدون العري الكلاسيكي كما يُقلدون كل شيء

كلاسيكي آخر. والفنان بدأ يقود شيئا يشبه نوع الحياة وحشيا فاحشا مجازفا، ولكنه عظيم الأهمية. لقد كان فنانو عصر النهضة الذين كرسوا جل حياتهم الفنية لغرض جعل المعتقدات المسيحية واضحة تبدو في أجمل مظاهرها للعيان يستمرون في القيام بالأعمال التي ورثوها عن الرواد السابقين للعصور الوسطى (الإغريق والرومان)، فتحول الفن في العصور الحديثة إلى فن علماني تقريبا، حتى أن الفن الديني كاد يختفي أو بالأحرى أصبح في الدرجة الثانية استنتاجا وتقليديا. إن الكتاب الخياليين هم الفنانون القريبون من قلب الوضع الإنساني نحو الحياة، إن بترارك ورابله Rabelais (1553م) وشكسبير وسرفانتس والرسامين والنحاتين والموسيقيين هم نوع من الرجال الذين ينشدون طريقا وسطا بين المسيحية التقليدية كما خلفتها العصور الوسطى، وبين العلمانية الحديثة التي يبدو أنها تقلع جذور السحر والسر من الكون. كان هؤلاء الفنانون في تمرد ضد التقليد المسيحي خلال العصور الوسطى، وقبول هؤلاء العلماء المجرد لأي شيء كتبه قدماء اليونانيين والرومان لم يكتف به رجال الفكر، وككل شخص ألمَّ بكل ما له علاقة بالعقل عاد هؤلاء الفنانون إلى الإغريق والرومان، وكانوا بذلك كالمهندسين المعماريين حيث أعادوا تجديد موادهم. وأصبحت الطبيعة والطير والحيوان والزهور من واقع الحقيقة والمشاهدة، وهو حدث جديد في الفن وخروج عن التقليد القديم في تصوير العذراء والطفل وتصوير القديسين.

3/ النحت والعمارة: بلغ التجديد الفني في هذا المجال مستوى ممتازا من الكمال، وكانت الخطوة الأولى ترك أساليب الماضي إلى الأسلوب الكلاسيكي. ولم يقلد المعماريون من التراث بشكل جامد بل جعلوا العمارة الجديدة معبرة عن روح العصر والبيئة. واتخذ فن النحت في تطوره منهجا في الرغبة الجامحة بالتزود من تراث القدماء من يونان ورومان، وكان من أبرز النحاتين دوناتللو Donattlo (1466م) النحات الفلورنسي الشهير الذي أوجد مدرسة خاصة جديدة اعتمدها في أعمال النحت عُرفت بالمدرسة الطبيعية، واعتبرت مصدرا أساسيا من مصادر الإلهام لديه. وقد أبرز في أعماله جمال الطبيعة وتناسق الأجساد وتعبير الوجه، وسعى دوما لجعل تماثيله طبيعية عادية بعيدة عن التكلف. ومن أبرز النحاتين كذلك نجد تلميذه مايكل أنجلو الذي تأثر بالمدرسة الطبيعية وتأثر في الوقت نفسه بالمدارس الإغريقية والفلسفة اليونانية ونظرتها إلى الإنسان، فحاول دائما أن يبرز في أعماله القوة والعظمة التي يمتلكها الإنسان. ومن أهم أعماله نحت المجموعة الرخامية الشهيرة التي تمثل العذراء والطفل، وكذلك نحت ورسم سقف كنيسة سيكستين Sixstine في الفاتيكان.

4/ فن الرسم: كان فن الرسم قد بلغ مرحلة لا بأس بها في أواخر العصور الوسطى إلا أنه كان حبيس اتجاهات الكنيسة في خدمة أغراضها. وكان الرسم يتم على جدران الكنائس أو القصور أو على الخشب. أما في عصر النهضة فقد تعلم الرسامون فن الرسم الزيتي، وأصبحوا يعالجون مواضيع بعيدة عن الروح الدينية مستمدين أفكارهم من الطبيعة والحياة والإنسان والجسد، ويعبرون في رسومهم عن العواطف والمشاعر والغرائز والأحاسيس. وكان أبرز رسامي عصر النهضة هو ليوناردو دافنتشي الذي بلغ قمة الإبداع في رسمه لوحة العشاء الأخير الشهيرة ولوحة الموناليزا الشهيرة.

النهضة الفكرية:

1/ تمجيد العقل: ظهر مجموعة من الفلاسفة والمفكرين دعوا إلى تمجيد العقل والإيمان بقدرته على حل الأزمات والمشاكل الإنسانية، والتخلص من اللاهوت في تفسير ومحاكمة الأشياء والمفاهيم، شعارهم في ذلك:"لا سلطان للعقل إلا بالعقل". وتعهد الحركة الإنسانية الجديدة العلمانيون وأمراء أوروبا وملوكها الذين كانت سلطتهم تتعاظم وتشهد قصورهم الفخمة على أبهتهم ونفوذهم، وكان هذا مدعاة لاهتمام مفكري النهضة بالسياسة والدولة المثلى والحاكم النموذجي وأفضل القوانين، لاسيما وأنهم كانوا يعتقدون أن بوسع البشر تحسين أوضاعهم بأنفسهم، وهكذا تناول إيراسموس Erasme (1536م) الشؤون السياسية في مؤلفاته. وقد اعتمد عصر النهضة في التعليم في جميع مجالاته على الأدب والفلسفة والتاريخ، عائدا إلى تلك النظم الكلاسيكية. وساد الاهتمام بالحياة الدنيا والوجود الإنساني فيها الذي نشأ كرد فعل لتركيز الكنيسة على عالم الآخرة، وحصر كل النشاط الفكري والفني لأتباعها في مجال الحديث عن الثالوث والقديسين والملائكة والمعجزات، وكبت المشاعر والأحاسيس الإنسانية أيا كانت، ما لم تكن في حدود دائرتها اللاهوتية. ومن هنا أطلق على الحركة بكاملها وصف الإنسانية. فمجال التاريخ حسب فولتير Voltaire (1778م) يجب أن يتسع لما هو أهم لتتبع إنجازات العقل البشري في التاريخ، فذلك أجدر بالاهتمام من أخبار الملوك والحكام وحواديث البلاط، فالخير الحقيقي للإنسانية ليس في قادتها وحكامها وإنما في فلاسفتها وعلماءها ومفكريها.

2/ مكانة الإنسان: وقد قام دانتي في هذا المجال بمثل ما قام به مكيافيللي في مجال السياسة، فقد خرج على الكنيسة خروجا صريحا، وناقض تقاليدها ومقاييسها، وابتداءً منه أخذ الأدب الأوروبي يحل الإنسان شيئا فشيئا محل الإله، فالاهتمام بالإنسان الذي نبه إليه دانتي ومعاصروه كان المنطلق لمحاولة تأليه الإنسان وتصويره على أنه إله حقيقي. إن الأمر الجديد هو الاهتمام بشؤون الإنسان في الحياة الدنيا، ويمكن تفهُم خطورة هذا الجديد الذي زاحم القديم مقارنة له بالعقائد المسيطرة على أذهان الناس في ذلك العصر عن الحياة والكون، ومؤداها أن الحياة الدنيا ليست إلا تمهيدا لاستقبال الحياة الأخرى. وقد هيمن هذا الاعتقاد على الناس في القرون الوسطى جيلا بعد جيل تحت سطوة الكنيسة وسيطرتها العاتية على جميع نواحي النشاط الإنساني، وجميع المؤسسات الاجتماعية، بينما كان علم العلماء كله يدور حول المبادئ الدينية والعقائد الكنسية. والواقع أنه ابتداء من القرن 12م وما بعده زاد احتدام هذا الموقف وهذه الاهتمامات، وتحدث الفن عن نفس القصة التي تحدث عنها الأدب، فالعذراوات والقديسون والأقدمون تحولوا إلى رسوم واقعية، وانقلبت صور العذراء التقليدية البيزنطية إلى فتيات قرويات إيطاليات.

3/ التمتع بالحياة: ولكن أهم ما أخذ العلماء الإنسانيون عن الإغريق كان التمتع السعيد الطبيعي السليم بخيرات الحياة في حضارة رفيعة. ووجدوا أن اللذات غير الضارة والميول الطبيعية تعتبر الوسائل التي بواسطتها يُنظِم العقل حياة صالحة، وأنها ليست من الشيطان، فلا داعي إذن إلى اعتبارها ذنبا، إما أن يقهر بعون إلهي أو ينهل منه في خجل وشعور بالعار... أدى كل هذا بالطبع إلى ثورة على الأخلاق المسيحية، فبدلا من المحبة حل الفرح باستعمال الإنسان للقوى التي وهبه الرب إياها، وحلت الحرية والمسؤولية بتوجيه

العقل محل الخضوع لإرادة الرب، وأخذ البحث الفكري الجريء يحتل بالتدريج مكان الإيمان. وانفجرت العاصفة بكامل عنفها على رأس الراهب، ذلك أن فشل الراهب في تحقيق الطهارة التي بشّر بها جعلت أدب القرون الوسطى منذ ولادته يعطي لزلات الراهب صورة أكثر بشاعة، وصوَرته بأنه أكثر حيوانية من سواه، وجاء أحذق الإيطاليين وأجرءهم إطلاقا لورنزو فالا Valla (1457م)، فأنكر في كتابه "حياة الرهبانية" كل قيمة للتقشف والقداسة، وذهب أبعد من ذلك في رسالته عن اللذة التي يتفق فيها مع المذهب الأبيقوري، فأعلن أن المرأة المتزوجة بل المستهترة أيضا هي أفضل من الراهبة، لأنها تسعد الرجل، أما الراهبة فهي تعيش في تبتل لا فائدة منه. وينعت موت الإنسان في سبيل بلاده أو من أجل أي مثل أعلى بأنه لا يقره العقل. هذا التحول المفاجئ يوحي في بعض الأحيان بالرجوع إلى ما يشبه الوثنية الخالصة. ويمثل الفن الإيطالي أحسن تمثيل المزج الكامل بين المسيحية والوثنية، فبعض الرسوم الشهيرة لا يمكن التفريق فيها بين الله والملاك والعذراء والصبي وكيوبيد Cupidon (ابن الإلهة فينوس) والقديس. هكذا كانت ثورة الطليان على الأخلاق المسيحية واستبدلوها بمجرد التمتع بالملايين من أشكال الجمال.

النهضة العلمية:

1/ الاهتمام بالعلم: يتفق معظم الدارسين على أن القرن 15م، يعد نقطة انطلاق عصر النهضة العلمية التي توجت في القرنين 16م و17م بالثورة العلمية التي أسهمت في تغيير جذري لكل مرافق الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها. وقد برزت نوعية التحول وشموليته في تسارع وتيرة الإنتاج العلمي، وإيجاد حلول علمية لأسئلة طالما استعصت على الدارسين حول حركة الأجسام وسر انتظام حركة الأجرام السماوية وطبيعة الضوء والمد والجزر، وإعادة سبك المعارف العلمية القائمة التي أنجزها الإغريق والمسلمون خصوصا، وفي انتشار المعرفة العلمية لدى فئات كثيرة من الناس، ولاسيما العاملين في النشاط الاقتصادي والتقني والفني والسياسي، مما جعل القرارات والإنجازات في مجالات الحياة المختلفة تتأثر بنتائج العلوم المختلفة التي بدأت مع نهاية القرن 19م وبداية 20م، تشهد تطورا نوعيا سريعا لم تعهده من قبل.

2/ العقل والعلم: لقد روَجت النهضة بمظاهرها الفكرية والعلمية والفنية أفكارا جديدة كان لها أثر كبير في تشكيل ذوق وفكر الإنسان الأوروبي الذي شمل جميع الميادين حتى الميدان الديني منها. وعلى هذا الأساس، أدى تلازم العقل والعلم إلى ابتعاد المجتمع الأوروبي عن الخرافات والأساطير في تفسير مجريات الحياة. كما ظهر منظور جديد للإنسان، إذ تغيرت رؤية الإنسان إلى العالم وإلى نفسه وإلى الدين كذلك. جهود هؤلاء في بداية القرن 16م كانت قد أثمرت أن حل العقل محل الوحي، العلم والمعرفة كانا البديل للإيمان الأعمى بعالم المعجزات. لكن هذا التبدل من حال إلى حال، من العصور الوسطى إلى النهضة، لم يكن ممكنا بدون الثورة العلمية لذلك، هي أيضا جزء لا يتجزأ من عصر النهضة. وكانت النتيجة أن أصبحت التجربة أساس العلم.

3/ أشهر العلماء: لقد أسهمت مجموعة من العوامل الدينية والفكرية والعلمية في هذه التحولات، كان من أهمها، الثورة الدينية والنزعة الإنسانية التي نادى بها عدد كبير من المفكرين والفلاسفة، إضافة للنظريات العلمية التي أسس لها عدد من العلماء، أمثال كوبرنيك Copernic(1543م) وغاليليو Gallilé(1642م) ونيوتنNewton(1727م). ومال الفلاسفة إلى إعمال العقل في فكرهم، ومنهم ديكارت Descarte(1650م) وسبينوزا Spinoza (1677م) حيث كان دورهم لا يقل عن دور العلماء.

النهضة الاقتصادية:

1/ الانتقال للرأسمالية: تجلت النهضة الاقتصادية في تأسيس نسق عملي يتضمن الصناعة الحرفية والتجارة في المعادن والنشاط المصرفي، وكانت أهم فروعه في جنوة وميلانو، إلى جانب احتكار المدن الإيطالية للنشاط التجاري. انتقل المجتمع الأوروبي اقتصاديا، من النظام الإقطاعي إلى النظام الرأسمالي الذي تبنته الطبقة البورجوازية، وارتبطت الحركة الاقتصادية بعنصر التمدن، إذ أصبح الاهتمام مُركزا على التجار(التاجر قديما عند الغرب لا قيمة له)، لأنهم هم الذين أسهموا في نقل الحضارة الأوروبية من حضارة بدوية إلى حضارة مدنية، وأصبح الربح هو الهدف الأساسي ويقوم على اقتصاد المبادلات، وأصبح ينظر له كقيمة خلقية تجعل منه عنصرا للحضارة. وشكلت حركة النهضة ثورة ثقافية واسعة شملت مختلف مناطق أوروبا واتخذت أشكالا متنوعة تميزت في مجملها بمعارضة أفكار الكنيسة الكاثوليكية، وعكست طموحات البرجوازية الناشئة في إعطاء الأولوية للفرد، وفسح المجال أمام المبادرات الفردية عاملة بذلك على إرساء قاعدة فكرية لنمو النظام الرأسمالي. وكانت النتيجة تقلص نفوذ الإقطاع ونمو الحركة التجارية.

2/ الكشوف الجغرافية: ساهمت التطورات العلمية في انتشار الفضول العلمي الذي تزامن مع الحاجة الاقتصادية لأوروبا الغربية وطموح ساستها، وانبعاث روح صليبية أحيانا، مع التطورات السياسية والعسكرية التي عرفها المتوسط في النصف الثاني من القرن 15م، ودفعت للاستكشاف الذي تجسد في الرحلات البحرية الكبرى التي انطلقت من إسبانيا والبرتغال بشكل خاص نحو مناطق كانت مجهولة لدى الأوروبيين في أفريقيا وآسيا والعالم الجديد.

المراجع:

جورج ليفه: موسوعة تاريخ أوروبا العام منذ بداية ق 14 وحتى نهاية ق 18، ج2 ، منشورات عويدات، بيروت – باريس.

محمد مظفر الأدهمي: دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث، مكتبة المعارف، الرباط، 1984.

عبد العزيز نوار ومحمود محمد جمال الدين: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، 1999.

https://www.marefa.org/%D8%B9%D8%B5%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%87%D8%B6%D8%A9

https://www.arabency.com/ar/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AD%D9%88%D8%AB/%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%87%D8%B6%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%B1%D9%88%D8%A8

http://alhawali.com/popups/print_window.aspx?article_no=6150&type=3&expand=1

http://www.mominoun.com/articles/%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%87%D8%B6%D8%A9-

المحاضرة الرابعة: خصائص النهضة ونتائجها.

خصائص النهضة:

ظهرت النهضة واسعة شاملة، وكانت في حقيقة أمرها امتدادا لما سبقها من تيارات حضارية شهدتها أوروبا في العصور الوسطى، لأنه من الثابت تاريخيا أن تيار الحضارة لم يتوقف في أوروبا إبان العصور الوسطى، وأن هذه العصور لم تخل من وثبات حضارية. لكن النهضة جاءت بمفاهيم جديدة، وأحدثت تغيُرات جذرية تسللت إلى مختلف القطاعات السياسية والدينية والثقافية والفنية والاجتماعية. وكان أهم اتجاهين سادا هذه الحركة هما:

إحياء المؤثرات الكلاسيكية في الأدب والفن، ثم تحرير الفكر والفرد من قيود العصور الوسطى وأغلالها. وقد أدى اتجاه النهضة نحو حرية البحث والاستقصاء إلى حركة الإصلاح الديني. ومن الآثار الطيبة لحركة النهضة تنوير الفكر وانتشار التعليم الذي تحققت بفضله أعظم نتائج النهضة وأكثرها ديمومة واستمرارا، وهي إيجاد نوع من الوحدة الثقافية والخلقية بين بلدان غرب أوروبا قامت على أساس الضمير الفردي وحرية الفكر. وقد تميزت النهضة الحديثة بعدة خصائص:

1/ اعتمادها على المدن:

اعتمدت النهضة في نموها وانتشارها على المركز القوي الذي وصلت إليه المدن في نهاية العصور الوسطى؛ فقد نجحت في أن تصبح وحدات سياسية حرة في وسط إقطاعي متزمت، وغدت مهدا للطبقة الوسطى ولنمو الشعور القومي، وأن تكون أداة هدم في بنيان النظام الإقطاعي، والحد من نفوذ الكنيسة. لقد تجمعت في المدن الثروات، خاصة منها الأموال السائلة، ولأن سكان المدن اعتمدوا على التجارة والصناعة، وابتعدوا عن سيطرة النبلاء الإقطاعيين، فقد قامت النهضة الأوروبية على أكتاف سكان المدن، وهم من الطبقة الوسطى. وكانت هذه المدن مراكز إشعاع فكري وفني وقومي وحضاري، ومهادا للنشاط الاقتصادي والسياسي في أوروبا. لم تظهر النهضة في جميع البلاد الأوروبية في وقت واحد، بل ظهرت فيها تباعا: بدأت في مدن شبه الجزيرة الإيطالية، وعندما اكتملت تسربت إلى غرب أوروبا بمفاهيم جديدة، محدثة تغيُرات جذرية في مختلف القطاعات السياسية والدينية والثقافية والفنية والاجتماعية.

2/ استقلالية الفرد وحرية الرأي:

ظهر الفرد خلال النهضة متمتعا بشخصية مستقلة، له حرية الرأي والتصرف، وأصبح الخلية الأولى في بناء المجتمع، إذ لم يعد يذوب في جماعة أو طائفة أو نقابة ينتمي لها، التي تعددت أمامه طوال العصور

الوسطى، بسبب استبداد النظام الإقطاعي وصرامة تعاليم الكنيسة. ولم يكن أمام الشخص الطموح المغمور سوى الانتظام في سلك الكهنوت ابتغاء الوصول في نهاية المطاف لمنصب كبير في الكنيسة، يدر عليه مرتبا كبيرا. لقد أعطت النهضة مكانة هامة للإنسان ولعقل الإنسان باعتباره محور الوجود، فنشأت العلمانية. وقد انتشرت هذه الأفكار التي دعا لها الإنسانيون بسرعة بفضل المطبعة التي اخترعها الألماني غوتنبرغ سنة 1450م.

3/ الحركة الإنسانية:

تمثلت أهم خصائص النهضة في الحركة الإنسانية، وهي حركة تجديد ثقافي اهتمت بالرجوع إلى التراث الأوروبي القديم، مستفيدة من الترجمات والدراسات العربية والاتصال بالعلماء الإغريق. اهتم مفكرو الحركة بالعقل ودعوا إلى الاطلاع على جميع صنوف الفن والمعرفة. وقد ساهم اختراع المطبعة في نشر أفكار رواد الحركة الإنسانية، والتي منها:

- الاعتماد على الثقافة التي خلفها التراث اليوناني والروماني القديم.
- تجاوز الفكر الديني والخرافي الذي ساد أوروبا خلال العصور الوسطى.
- التركيز على تعلم اللغات وعلوم الهندسة والحساب والموسيقى والفلك والطبيعة والطب...

4/ الإصلاح الديني:

تأزمت وضعية الكنيسة بعد إهمال رجال الدين لدورهم الديني، حيث أصبح همهم الأساسي هو تأمين مصالحهم المادية وجمع الأموال عن طريق الضرائب الدينية، وبيع صكوك الغفران. وانطلقت حركات الإصلاح الديني من ألمانيا على يد مارتن لوثر الذي دعا إلى أن الإيمان وحده لا يكفي للخلاص، منتقدا ممارسات رجال الدين. وأدى انتشار حركات الإصلاح الديني بأوروبا إلى ظهور الحركة البروتستانتية التي اختلفت مبادئها حسب الدول (لوثرية، كالفينية، أنكلكانية)، ما أدى لنشوب الحروب الدينية.

نتائج النهضة:

1/ إحياء الدراسات القديمة:

استهوت الدراسات الإغريقية واللاتينية عقول الكثير من الأوروبيين، وقد وجدوا معظم مجلداتهم في الكنائس والأديرة، فعكفوا على دراستها وترجمتها إلى اللغات المحلية، مما فتح نوافذ المعرفة أمام غالبية الأوروبيين للمرة الأولى. فظهرت شخصية الفرد التي كانت مطموسة في العصور الوسطى في إطار الكنيسة، وبذلك فكّت النهضة أغلالها، وأعادت للفرد كرامته وإنسانيته، وصقلت عبقريته في كل الميادين، وبذلك تطور المجتمع.

2/ انحلال الإقطاع:

تم القضاء على النظام الإقطاعي بعد أن ضعُف لموت عدد كبير من النبلاء في الحروب الصليبية، وانصراف عدد آخر للتجارة، ما أدى لتحرر الفلاح والقن، وظهور الإصلاحات الاقتصادية في القرون اللاحقة.

3/ ظهور الدول الحديثة:

عبر تطوير أساليب الحكم، وقد ساعد في ذلك الأفكار الجديدة؛ مثل أفكار المفكرين مكيافيلي الإيطالي مؤلف كتاب "الأمير"، ومؤلف "الكتب الستة للجمهورية" جون بودان الفرنسي Jean Bodin (1596م)، ومؤلف كتاب "ليفياثان" "Liviathan" الإنجليزي توماس هوبز Hobbs(1679م)، وتدفق الثروات الناتجة عن الكشوفات الجغرافية الكبرى، وما صاحبها من نتائج ملموسة ساعدت في المزيد من التطور في أوروبا، واستغلال مناجم الذهب والفضة للقارة الأمريكية، خاصة من طرف إسبانيا والبرتغال في البداية. فساندت الطبقة المتوسطة الملوك على استتباب الأمن والنظام، والقضاء على الإقطاع فضلا عن تكوُن الرأي العام ونمو اللغات المحلية وظهور الروح القومية. وقد كان لهذه العوامل أثرها الفعال في قيام الدول الأوروبية الحديثة.

4/ الإصلاح الديني:

كان نتيجة الثورة على مفاسد الكنيسة والدعوة لتصحيح المفاهيم الدينية، ما أدى لظهور مذهب مسيحي جديد في أوروبا هو المذهب البروتستانتي، وظهور الإصلاح المضاد لهذا الأخير.

نتائج النهضة النهائية:

- انتقال الريادة التجارية من المتوسط للأطلسي.
- تغيير أوضاع الشعوب الأوروبية.
- ظهور الاختراعات وتطور مجالاتها في القرون اللاحقة.
- تطور تقنيات الملاحة البحرية.
- ظهور إمبراطوريات كبرى وبداية التنافس الاستعماري.
- اختلال التوازن بين العالم الإسلامي والعالم الأوروبي نتيجة ضرب التجارة الإسلامية في إفريقيا الشرقية والبحر المتوسط والبحر الأحمر.
- انتشار تجارة العبيد والرقيق.
- القضاء على الحضارة القديمة.
- انتشار المسيحية.

المراجع:

https://www.ta3lime.com/showthread.php?t=22237.

http://www.uae7.com/vb/t29049.html.

المحاضرة الخامسة: الحركة الإنسانية

مدخل:

إن الحركة الفكرية التي نشأت في عصر النهضة الأوروبية هي الأساس في ظهور الحركة الإنسانية. وكان الوقود الذي أشعل هذه الحركة يحتوي على الفكر اليوناني الوثني المعارض للفكر الديني، والآداب اليونانية واللاتينية. من هنا كان شعار الإنسانية كلمة الفيلسوف اليوناني القديم بروتاجوراس Protagoras (485 ق.م–420 ق.م) "إن الإنسان مقياس للأشياء جميعها"

« L'homme est la mesure de toute chose » فضلا عن انغماس الإنسان بالمادة، وحب اكتناز المال والثروات، والاستمتاع بالحياة الزائلة.

إن الحركة الإنسانية هي اتجاه فكري عام تشترك فيه العديد من المذاهب الفلسفية والأدبية والأخلاقية والعلمية، ظهرت في عصر النهضة، ودعت إلى إصلاح شامل للثقافة بغية الخروج من مجتمع عصر الظلمات السلبي الجاهل، نحو نظام جديد يُبرز أفضل القدرات الإنسانية عند الفرد، ويشجعها لتكون مؤثرة على صعيد نظام الدولة، سواء أكان جمهوريا أم ملكيا. وكان منهل الدراسات الإنسانية هو الأدب القديم الإغريقي والروماني، علما أن لاتينية روما الجمهورية (509ق.م–27ق.م) والإمبراطورية (27ق.م–476م) كانت أقرب إلى الإنسانيين من اللغة اليونانية الأجنبية بالنسبة إليهم. وقد انبعثت هذه الحركة بعد أن لاقت الكثير من العناية والتشجيع المادي والمعنوي من حكام المدن الإيطالية والأغنياء والمشجعين الآخرين القائمين على هذه الدراسات.

التعريف اللغوي:

إن مصطلح "إنسانية عصر النهضة Renaissance Humanism" يعني التجديد والاستيقاظ من سُبات العصر الوسيط. وكان البحاثة الألمان في القرن 19م أول من استخدم مصطلح النزعة الإنسانيةDer Humanismus بتصحيفه في اللغة اللاتينية من الدراسات الإنسانية studia humanitatis " التي شملت حينذاك الشعر والبلاغة والتاريخ وفلسفة الأخلاق.

أما اشتقاق كلمة إنساني أو الإنسي "Humanist" فاشتقت في اللغات الأوروبية منذ القرن 16م، وبالتحديد عام 1539م. أما كلمة النزعة الإنسانية على هيئة الاسم أو المصدر "Humanisme" فلم تُشتق إلا في القرن 19م، وكانت كلمة الإنسي أو الإنساني تطلق على البحاثة المتبحرين في العلم، وخاصة علوم الأقدمين: اليونان والرومان، وقد ظهروا أولا في إيطاليا، قبل أن يظهروا في أوروبا.

التعريف الاصطلاحي:

إن النزعة الإنسانية هي تلك الفلسفة التي تضع الإنسان والقيم الإنسانية فوق كل شيء. إنها النزعة التي تثق بالإنسان وتتفاءل بإمكانياته؛ فهو قادر على صنع التقدم الحضاري. وقد نشأت هذه الحركة الثقافية في إيطاليا أولا في القرن 14م، ثم انتشرت من هناك إلى بقية أنحاء أوروبا وبلغت ذروتها في القرن 16م وهو عصر النهضة بامتياز. وتعتبر هذه الحركة الإنسان أجمل الكائنات وأفضلها وأرقاها، وتثق به وبمستقبله كل الثقة. لقد عاد المفكرون الأوروبيون إلى النصوص اليونانية والرومانية التي كانوا قد نسوها أو أهملوها طيلة العصور الوسطى المظلمة الكارهة للفلسفة والثقافة، والمفعمة «بالجهل المقدس المسيحي». لقد عادوا فيما وراء المسيحية أو ما قبلها إلى اكتشاف نصوص هوميروس وأفلاطون Platon (348ق.م) وأرسطو Aristote (322ق.م) وشيشرون Cicéron

(43 ق.م) وفيرجيل Virgile (19ق.م) وسواهم كثيرون. والإنسانيون هم الجماعة المثقفة من علماء وكنسيين ومثقفين وأساتذة جامعات ومؤلفين وأطباء... عبّروا عن نزعة مجتمعهم، وسموا بالإنسانيين لأنهم اتخذوا الإنسان وحياته الحاضرة موضوعا لدراساتهم وبحوثهم. ومعلوم أنه أثناء العصور الوسطى كان الشائع من العلوم الآداب الإنسانية والآداب الإلهية. والمقصود بالأولى مجمل المعارف الدنيوية التي كانت تُدرس للطلاب في كليات الفنون والبلاغة. وأما الثانية فكانت تُدرس في كليات اللاهوت المسيحي حيث الاهتمام بالدين والإنجيل وشرحه والتعليق عليه. وكانت الدراسات اللاهوتية تهيمن على الدراسات الإنسانية بشكل واضح طيلة العصور الوسطى. وذلك لأن العلوم الإلهية أشرف من العلوم الإنسانية وأجل شأنا. وكانت الفلسفة تعتبر بمثابة خادمة طيِعة لعلم اللاهوت المسيحي. وكان كلام رجال الدين شبه معصوم ولا يناقش وإنما يطاع فقط.

مظاهر الحركة الإنسانية:

1/ إحياء التراث القديم: يعتبر فرانسيسكو بترارك Fransisco Petrarca(1374م) من أوائل إنسانيي عصر النهضة. لقد كشف في أواسط القرن 14م النقاب عن عدد كبير من المخطوطات القديمة المهمة التي كانت مهملة منذ زمن بعيد، مكتشفا أعظم هذه الأعمال تأثيرا "رسائل إلى آتيكوس"؛ وهي مجموعة من الرسائل حول الحياة السياسية الرومانية كتبها السياسي والخطيب ماركوس توليوس شيشرون. كما يعتبر الهولندي إيراسموس Erasmus (1536م) كذلك من أشهر من مثّل الفكر الإنساني، حيث استطاع التوفيق بين الفلسفة القديمة والأخلاق المسيحية، وقضى حياته متنقلا بين الدول الأوروبية يدرس ويناقش. وفي سنة 1511م نشر كتابه "مدح الجنون" ينتقد فيه المجتمع الإقطاعي وينادي بالإصلاح، ولقد تمت ترجمته إلى اللاتينية. ولقي تحقيقه لكتاب العهد الجديد قبولا كبيرا، ورغم تنديد إيراسموس لتجاوزات رجال الكنيسة ظل وفيا للبابوية.

2/ الصراع بين الإنسانيين والدينيين: بدأت الأمور تتغير بدءا من القرن 14م حيث ظهر بترارك وتجرأ على إبداء إعجابه بالكُتاب الوثنيين السابقين على المسيحية. ثم تلاه آخرون كثيرون ومشوا على نفس الخط، وبرَر هؤلاء أخذهم عن فلاسفة اليونان والرومان بأن كتبهم تحتوي على الحكمة والعلم والعقلانية الصائبة على الرغم من وثنيتها. وبالتالي فيجوز الأخذ عنهم دون أن نتخلى عن الإيمان. وهو موقف الفيلسوف المسلم الأول الكندي (873م). ولكن رجال الدين انزعجوا من هذا التصرف واعتبروه خروجا على المسيحية، وقالوا إن الحكمة لا توجد إلا في الكتب الدينية. وهكذا جرت معركة بين الطرفين استمرت عدة قرون حتى انتصار الحداثة. لقد وضع هؤلاء الفلاسفة الإنسانيون الإنسان في مركز كل اهتمام أو تساؤل، وقالوا إن كل معرفة لا تهدف إلى الرفع من شأن الإنسان لا جدوى منها ولا لزوم لها. وراحوا يحلمون ببناء مجتمع يختلف عن مجتمع القرون الوسطى المستكين لأقوال الكهنة والمستسلم للمقادير والظروف. راحوا يحلمون بتثقيف الإنسان وتهذيبه لكي يصبح عقلانيا ذكيا، معتمدا على نفسه وإمكانياته لا متواكلا ولا كسولا.

3/ دور الطباعة: على هذا النحو انطلقت الحركة الإنسانية قوية فاتحة. وبفضل المطبعة الآلية التي ظهرت في ذلك الوقت راحت كتب المفكرين الإنسانيين تنتشر في كل الأوساط بسرعة البرق. ففي السابق كان نسخ الكتاب الواحد بخط اليد يستغرق أسابيع كثيرة أو حتى شهورا. وأما بعد اختراع المطبعة فقد أصبحت طباعته وبمئات النسخ تتم بين عشية وضحاها. وكل ذلك ساهم في انتشار الأفكار الجديدة لعصر النهضة والإصلاح الديني في آن معا. ولذلك قال أحدهم: لولا غوتنبرغ لما كان لوثر. المقصود لولا المطبعة لما نجح الإصلاح الديني.

تيارات الحركة:

1/ التيار الدنيوي. 2/ التيار الديني. 3/ التيار الواقعي.

خصائص الحركة الإنسانية:

1/ مبادئ الإنسانيين:

أ/ يجب على الإنسان أن يبحث دائما على معنى وجوده وحياته.

ب/ الحياة في حد ذاتها شيء رائع ويستحق أن يعيشها الإنسان مهما احتوت على صراعات وتناقضات.

ت/ على الإنسان أن يواجه الألم ويتسلح بالأمل في نفس الوقت.

ث/ على الإنسان أن يهتم بالمادة قبل الروح لأنها الشيء الوحيد الذي يستطيع إدراكه والسيطرة عليه.

ج/ الإنسانية ترحب بالقومية والوطنية والمحلية.

2/ النزعة الإنسانية:

أ/ هي أنها على خلاف النظرة اللاهوتية للإنسان التي تراه جزء من نظام إلهي، والنظرة العلمية البحتة التي تراه جزءا من نظام طبيعي، فإن النزعة الإنسانية تركز محور اهتمامها على الإنسان، وتبدأ من الخبرة الإنسانية.

ب/ القناعة بأن الفرد الإنساني ذو قيمة في حد ذاته، وأن احترام هذه القيمة هي مصدر كل القيم الأخرى وكل حقوق الإنسان.

ت/ الأهمية التي تعطيها للأفكار، والتي لا تتكون ولا يمكن فهمها بمعزل عن سياقها الاجتماعي التاريخي من ناحية، والتي لا يمكن أن تختزل لتصبح مجرد عقلنه للمصالح الطبقية أو الاقتصادية من ناحية أخرى.

المراجع:

حسن أبو علية وإسماعيل ياغي: تاريخ أوربا الحديث والمعاصر.

https://aawsat.com/home/article/519891/

https://www.marefa.org/

https://saaid.net/feraq/mthahb/91.htm

http://mawdoo3.com/

http://www.almothaqaf.com/derasat/890047

http://www.histophilo.com/sophiste.php

المحاضرة السادسة: الإصلاح الديني

مدخل: لا يمكن أن نفهم عمق النزعة الإنسانية كفلسفة وإيديولوجيا ما لم توضع في سجال مباشر مع النزعة اللاهوتية التي تتجه إلى الاهتمام بالإله، وفى صراع مع طبقة الإكليروس (رجال الدين) السياسية. ولئن كانت حركة الإصلاح الديني هي الأخرى ضمن مسار النهضة الأوروبية فإنها كانت تشكل مع النزعة الإنسانية خطان متوازيان، حيث دخل على الدين، من التيار الإنساني، رفض للمفهوم التقليدي لانحطاط الطبيعة البشرية وعجزها، وتشديد على قيمة الإنسان الخلقية والفكرية. وارتبط ظهور "الأنسنة" أو المذهب الإنساني عموما بعصر الإصلاح الديني، وعصر النهضة في أوروبا في القرنين 15م 16م. حيث بدأ التحول في تلك الفترة من الدين إلى العلم، ومن الله إلى الإنسان، ومن الماضي إلى الحاضر والمستقبل. إذ نجد أن أهم ما ركز عليه الإصلاح الديني، خاصة مع مارتن لوثر في القرن 16م، هو الاعتراف بدور العقل ومكانته في البحث الحر، وزعزعة الأستاذية العقائدية التي كانت

تمارسها الكنيسة دون الخروج النهائي عن الإطار الأنطولوجى (علم الوجود) العام للوحي. وفى هذا السياق بدأ رفض فكرة التوسط بين الرب والإنسان، وجعل علاقة الإنسان بخالقه مباشرة، كما تم رفض احتكار تفسير الكتاب المقدس، وإعلان حرية الإيمان.

شهدت أوروبا خلال القرنيين 15م و16م حركات إصلاحية دينية تزعمها دينيون تأثروا بأفكار الحركة الإنسانية، فوجَهوا عدة انتقادات للكنيسة الكاثوليكية، وطالبوا بإصلاح ديني يواكب التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. لهذا لا يمكن فصل حركة الإصلاح الديني عن روح النهضة، لأنها تمثل ثورة على سلطة الكنيسة المطلقة، وثورة على التعصب الأعمى والتجارة بالدين وفساد رجاله ومحاربة الخرافات. كان من رواد هذا الإصلاح، الإنكليزي جون ويكليف Wyclif (1384م) والتشيكي جون هوس Huss (1415م) وكانا ليبراليين بالنسبة للإصلاح الديني، مثلما كان الكورسيكي جون سميث Smith (1790م) بالنسبة للأمور الاقتصادية. والإصلاح الديني، هو مجرد تغيير لأسلوب طلب الخلاص. ميل البروتستانت لِحق الاختلاف الديني، كان الأساس الذي بُنيت عليه الديمقراطية، كل مسؤول عن نفسه.

أسباب الإصلاح الديني:

1/ تدهور الكنيسة الكاثوليكية في روما وانحرافاتها خلال القرنين 15م و16م: بلغ النفوذ البابوي ذروته، في القرنين 12م و13م، وأصبح البلاط البابوي في روما ينافس بلاطات الملوك والأمراء. ثم بدأت البابوية تفقد هيبتها وسمعتها في أوائل القرن 14م، خاصة الفترة ما بين سنوات 1309م–1377م حيث استقر البابا بأفينيون بفرنسا تحت نفوذ ملك فرنسا، والكارثة الكبرى حلت بالكنيسة الكاثوليكية بين سنوات 1378م–1417م، عند حدوث "الانشقاق الديني الكبير"، عندما تواجد ثلاثة باباوات في وقت واحد. وقد ترك هذا الموقف أثرا كبيرا على مكانة البابوية في نظر شعب الكنيسة الكاثوليكية وأفقدها هيبتها. فضلا عن ذلك، فقد زج الباباوات بأنفسهم في غمار السياسة وعملوا على مد رقعة الولايات البابوية. ويضاف إلى ذلك بيع المناصب الدينية. كذلك انحراف بعض الباباوات حيث كان البعض تقيا والبعض الآخر يهتم بممارسة الترف والبذخ والرخاء، وأصبحت الكنيسة في هذا العهد مهتمة بالأموال أكثر من اهتمامها بالإصلاح.

2/ صكوك الغفران Indulgences: كانت السبب المباشر لقيام حركة الإصلاح الديني وتحولها إلى حركة ثورية. إذ عادت الكنيسة الكاثوليكية تبيع صكوك الغفران، خلال القرن 15م، مقابل النجاة من النار وضمان المغفرة والدخول إلى الجنة. كانت تبيعها للفلاحين الذين يمثلون الفئة الفقيرة، وليس لهم أية سلطة، وبالتالي عليهم الخضوع المطلق للكنيسة. وقد نهجت الكنيسة الكاثوليكية عدة طقوس لبيع صكوك الغفران حيث برز بيعها لهذه الصكوك بحجة بناء كنيسة القديس بطرس Pierre (64م أو 68م) بروما، وذلك في عهد البابا يوليوس الثاني (15013م)، منذ سنة 1506م، وخليفته البابا ليون العاشر(l1521). وأصبحت الصكوك تجارة مزرية، فأصبحت موردا ماليا للكنيسة تمنحه لمن يقدم هبات مالية. بل وأصبح الغفران يُمنح للأحياء والأموات، ولتكفير ذنوب ارتُكِبت في الماضي، أو يُمنح مقدما لجميع الأخطاء التي ستُرتكب في المستقبل، بل عهدت الكنيسة لعملاء يجمعون الأموال في نظير نسبة ربح مُعينة. كل هذا جعل الناس في جميع أرجاء العالم المسيحي اللاتيني يرفعون أصواتهم للمطالبة بالإصلاح.

3/ الطباعة: عندما اختُرعت آلة الطباعة، أحلّت محل المخطوطات النادرة نصوصا رخيصة الثمن، وتضاعفت أعداد النسخ التي تمتاز بالدقة والخفة في حملها. وكان أول ما طُبع هو الكتاب المقدس، وكان ترجمة ألمانية للنص الإغريقي، بعد أن استُخدِمت النسخة المُعتمدة على النص اللاتيني فترة طويلة. واستطاع بسطاء الناس قراءة الإنجيل بسهولة ويسر بلغاتهم القومية. فتُرجم إلى الفرنسية والإيطالية والإسبانية واللغات الأخرى، وأصبح مُتاحا وشائعا، وهيأ ذلك الناس لدعوات الإصلاح بالتحول من الاحتكام للبابوية إلى الاحتكام للإنجيل والعقل، وقضت على احتكار رجال الدين على التعليم والتربية، ويسّرت التعاون والاتصال الفكري بين الأفراد والشعوب.

4/ روح النقد والتحرر الفكري من القيود التي فرضتها الكنيسة: من ذلك انتقاد الكنيسة من طرف عدة ممهدين للإصلاح الديني: المصلح الديني جون ويكليف، المصلح الديني جون هس، المصلح الديني إيراسموس.

5/ رغبة حكام الوحدات السياسية في ألمانيا بالتحرر من سيطرة الكنيسة في روما: أخذت الدول الملكية الناشئة، بعد أن ازداد ثراؤها واستقرارها، تعمل على التحرر من سيطرة الكنيسة. وأخذ ملوكها يعترضون على وجود المندوب البابوي في بلادهم، واعتبروا كنائس بلادهم دولة داخل الدولة، فراحوا يُضيِقون على سلطات وصلاحيات رجال الدين، خاصة في شؤون القضاء. كما بدأوا ينتزعون من باباوات روما الحق في تعيين الوظائف الشاغرة لرجال الدين في بلادهم، وتطلعوا إلى إقامة كنائس قومية بعيدة عن الهيمنة الأجنبية المتمثلة في باباوات روما.

6/ العامل الاقتصادي: كان أداة الملوك والنبلاء في طلب الاستقلال عن سلطة روما. من هنا جاءت العوامل الاقتصادية والقومية. الاقتصاد هو المسؤول الأول والأخير عن الإصلاح الديني. ويكليف، هس، ولوثر كانوا أساتذة فلسفة. معارضتهم كانت معارضة إيديولوجية، وجودهم كان ضروريا لنجاح الإصلاح الديني. كما أن الإصلاح الديني كان يعتمد على عوامل أخرى اجتماعية واقتصادية وسياسية. تفسير هذا أن الكنيسة الكاثوليكية في كل مكان قد أَثرت ثراءً عريضا خلال العصور الوسطى من تبرعات الواهبين الأغنياء، فتطلع الملوك والأمراء إلى هذه الثروة وحقدوا على أصحابها، فاغتنموا آراء المصلحين واتخذوها وسيلة لكي يبرهنوا للعالم أن اغتصاب أموال رجال الكنيسة أمرا لا غبار عليه.

قيام الإصلاح الديني البروتستانتي:

1/ بوهيميا (جمهورية التشيك): الاستعداد للإصلاح الديني والتمرد على سلطة الكنيسة الكاثوليكية كان ناضجا في بوهيميا، كما كان الحال في إنجلترا. كان ذلك بقيادة جون هس، أستاذ الفلسفة بجامعة براغ. أفكار هس كانت منتقاة من كتابات ويكليف.

2/ ألمانيا: مارتن لوثر: ارتبطت حركة لوثر بتكوينه الديني من خلال زيارته لروما، حيث عاد بانطباع سيء عن حياة البابوية، بعد أن وقف على مظاهر الفساد والانحلال الخلقي من خلال ممارسة رجال الدين لحياة البذخ والملذات، ورفضه لصكوك الغفران لأن المغفرة مرتبطة بالإيمان. وما كان يشغل فكر لوثر هو البحث عن خلاص للإنسان، وبالتالي كانت القاعدة الأساسية لحركته هي عقيدة التبرير بالإيمان، استنادا إلى مبدأ القديس بطرس أو بولس "أن الوسيلة للخلاص من عقاب الله هي الإيمان المطلق برحمته"، وأن البابا لا يمتلك غفران الذنوب ولا احتكار تفسير الكتاب المقدس. ودعا إلى ضرورة الحد من عبادة القديسين والعذراء، والإقلال من الطقوس، والاهتمام بالوعظ، وتقليل دور الموسيقى والفنون الزخرفية أو إلغاؤه تماما. كما أباح زواج رجال الدين، وقال أن الحج إلى روما غير ضروري، وأباح الطلاق.

عوامل نجاح حركة لوثر:

أ/ شخصية لوثر، وقوة إيمانه بمذهبه.

ب/ صداقة لوثر لفردريك الثالث (1525م)، مُنتخب سكسونيا، الذي أسدى خدمات جليلة للوثرية، حيث ساعده على الهرب من قرارات البابا، كما جعل من قصره مأوى له، ومن جامعة فيتمبرغ منبرا لنشر آراء لوثر وكتاباته.

ت/ ظهور لوثر في توقيت حرج للإمبراطورية الرومانية المقدسة، والتي عانت سيلا من الأزمات، على رأسها الحروب الإيطالية، والزحف العثماني على شرقي أوروبا.

نتائج حركة لوثر: تغلغلت عقيدة لوثر في قلب المجتمع وأنذرت بالتغيير، ولكن الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي سادت ألمانيا أدت إلى أن تأخذ هذه الحركة اتجاهات معينة، ورأى البعض فيها فرصة لتنفيذ آراء كانوا يؤمنون بها. ذلك أن الدعوة إلى انتزاع أملاك الكنيسة وثروتها من أجل إصلاح الكنيسة وإعادتها إلى بساطتها الأولى أدت إلى قيام النبلاء بالثورة على الكنيسة، ومهاجمة الأراضي التابعة لها. كما أن انتشار روح الانتفاض على السلطات القائمة أدى إلى قيام الفلاحين والأقنان بالثورة على النظام الاجتماعي والسياسي السائد في البلاد. ولذلك تمخض عن حركة لوثر ثورتين، هما:

أ/ حركة الفرسان ضد الكنائس.

ب/ حرب الفلاحين.

3/ سويسرا :

أ/ زوينغلي: ظهرت أول دعوة للإصلاح البروتستانتي خارج ألمانيا في مدن سويسرا، على يد مصلح سويسري يُدعى أولريخ زوينغلي Ulrich Zwingli (1531م). حيث اعتمد هذا مبادئ لوثر في رفضه صكوك الغفران، وابتزاز الكنيسة للناس عن طريق جمع الضرائب. وقد دعا زوينغلي إلى عدم قبول أي شيء لم ينص عليه الكتاب المقدس، ولم يقره المسيح.

ب/ كالفن: لكن انتشار الإصلاح في سويسرا ارتبط بالحركة الكالفنية التي دافع عنها جون كالفن John Calvin الفرنسي(1564م). انطلقت حركته من فرنسا عام 1534م، عندما صدر قرار بحرق 40 من أتباع اللوثرية في باريس، وقد شهد كالفن هذا الموقف المُروع مع جمع من أهالي المدينة، فكان لهذا الحادث تأثيرا كبيرا على مجرى حياته القادمة، قبل اللجوء إلى سويسرا، وقد كانت أكثر تنظيما. جمع أفكاره الإصلاحية بشكل منظم في كتابه "مبادئ الدين المسيحي" الذي ترجمه إلى الفرنسية؛ وقد تضمن مبادئ اتفق فيها مع لوثر بإعطاء الأولوية للكتاب المقدس، وربط الغفران بالأمور القدرية. كما اهتم كالفن كذلك بالجانب السياسي حيث كوّن جمهورية ثيوقراطية بجنيف، جعل السلطة فيها للمرشدين الدينيين.

أهم مبادئ كالفن:

1. الإصلاح الذي ينشده يتناول قواعد الكنيسة، ولا يمس الدولة.
2. الاعتماد على الكتاب المقدس وحده، شأنه في ذلك شأن لوثر.
3. لا يوجد غير المسيح شفيعا للناس عند الله.
4. الإيمان بالقضاء والقدر، فهما خطة إلهية كُتبت قبل ولادة المرء.

5. حصر كالفن العبادة في الصلاة والوعظ والإرشاد، وحرّم ما عدا ذلك من الطقوس الدينية المُتبعة في الكنيسة الكاثوليكية، وحرّم تزيين الكنائس بالصور والتماثيل.

6. عنيَ كالفن بإصلاح المجتمع وتطهيره من المفاسد، وعهد إلى السلطة الكنسية بمراقبة الحياة الخاصة للأفراد كما تتولى مراقبة الحياة العامة.

4/ إنجلترا:

أ/ جون ويكليف: بطل الإصلاح الديني قبل مارتن لوثر، كان أستاذا بجامعة أكسفورد. كان ويكليف معارضا لسلطة الكنيسة المادية وسلوك الرهبان. شجع ويكليف الملك إدوارد الثالث Edouard III (1377م) على عدم الامتثال لأوامر وتعليمات البابا في روما. الكنيسة، في رأي ويكليف، يجب أن يكون نشاطها تطوعي وأن تهتم بالوعظ والإرشاد، لا بالطقوس الوثنية من عبادة العادات القديمة وزيارة الأضرحة والأماكن المقدسة. سلطة البابا المطلقة، هي مجرد اغتصاب للسلطة في البلاد المختلفة، الرهبان ما هم إلا سياسيين طامحين.

نتائج الإصلاح الديني:

إذا كانت النهضة في إيطاليا قد اتسمت بالنزعة الفنية الأدبية، فإنها أخذت شكل الإصلاح الديني في ألمانيا، حيث أسهم التحرر الفكري في إعادة النظر بعمق في عيوب الكنيسة والدعوة إلى ضرورة إصلاح مفاسدها. وقد ترتب عن ذلك:

1/ تعدد المسيحية وما نتج عنها من صراعات وحروب، أبرزها حرب الثلاثين عاما بين سنوات 1618م و1648م ذات الأبعاد القارية.

2/ قيام الكنيسة الكاثوليكية بإصلاح مضاد للمذاهب الجديدة في أوروبا.

3/ اهتزاز مكانة البابوية مع استمرارها كمرجعية أساسية أمام العثمانيين وحصارهم لفيينا سنة 1683م.

4/ انعقاد صلح واستفاليا سنة 1648م الذي وضع قواعد شاملة لنظام دولي جديد.

5/ من وجهة نظر القرن 20م، النهضة والإصلاح الديني، لا يمثلان حركة كاملة، إنما عبارة عن مرحلة تحوُل من حال إلى حال. تأثير البروتستانت على العلوم والفلسفة والتعليم كان واضحا، بالرغم من إيمان لوثر بالغيبيات وعدم ثقته كثيرا في العقل.

6/ الإصلاح الديني وعصر النهضة، أفسحا الطريق إلى عصر الأنوار. لوثر وكالفن، كانا ضروريان لظهور المفكرين بيير بايل Bayle (1706م) وجون لوك Locke (1704م). بالرغم من عدم اكتمال عصر النهضة، ونعته بالعنف وعدم التسامح، إلا أنه كان يمثل ميلاد فكر ديني جديد.

7/ أما الحرية والديمقراطية بمفهومهما الحديث، فقد تركا لحركة الأنوار الفرنسية والإنجليزية. ثم جاء بعد ذلك في القرن 19م، عصر العلوم والنقد وكل الأمور التي لها علاقة بحياة الإنسان.

المراجع:

http://www.diwanalarab.com/spip.php?article39592
https://uqu.edu.sa/agmohamad/12859